كلمة العدد

بقلم : رئيس التحرير

سألني سائل : ما هي المراجع والمصادر التي يمكن أن نتعلم منها التوحيد ؟

قلت : كتاب الله !

قال : ثم ماذا ؟

قلت : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : ثم ماذا ؟

قلت : ثم .. لا ثم !!

قال : وكتب الكلام ؟!

قلت : إن كتب الكلام .. لا تعلم توحيداً ولا ديناً ، وإنما تعلم الجدل والسفسطة والفلسفة !

وإن الذين أغرموا بعلم الكلام - في القديم والحديث - قوم خلت عقولهم من الدين ، وقلوبهم من اليقين ، قوم حولوا الدين من صفائه ونقائه ، إلى متاهات لا تنتهي !!

واستمع معي إلى ما يقوله ابن عساكر في كتابه : (تبيين كذب المفتري) :

[وقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين ، وذم الكلام ، ولو لم يذمهم غير الشافعي رحمه الله لكفى بأنه قد بالغ في ذمهم ، وأوضح حالهم ، وشفى].

قلت لسائلى أتدرى ما قال الشافعى فيهم ؟

قال : هات ماعندك ، فالشافعى إمام جليل !

قلت : يقول الشافعى : [ما تردى أحدٌ فى الكلام ، فأفلح ، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام ، ولقد أطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك] .

ويقول : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة] .

قلت : ولم يكن الشافعى وحده هو الذى ثار على أهل الجدل والكلام ، وإنما سبقه ولحقه أئمة كبار .

فهذا هو الإمام مالك يقول : [أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه ، أيدع دينه كل يوم لدين جديد ؟] .

والشعبى يقول : [من طلب الدين بالكلام تزندق] وما أوتوا ذكاء ، وأعطوا فهوما وما أعطوا علوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون).

ويقول ابن رشد - فى تفسير قوله تعالى : - ﴿ فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ وهؤلاء هم أهل الجدل والكلام !

ويقول أحد الباحثين المعاصرين - الدكتور محمود قاسم - [إنهم لم يوفقوا فى الكشف عن الأدلة البرهانية التى احتوى عليها كتاب الله ، وإنما جنحوا إلى استخدام أدلة أخرى عليها مسحة غالبة من الجدل الكريه ، الذى نصفه هذا الوصف لأنه يثير من الشكوك أكثر من الإقناع] .

* * *

قال محدثى : أزلت عن صدرى ثقلا من الشكوك ، فقد كنت ضحية من ضحايا ، علم الكلام ، كنت أدمن قراءة (العقائد النسفية) لعلى أخرج منها بشىء يهديني إلى سواء الصراط فما كنت أجده ، كنت أتهم نفسى ، وأتهم قلبى ! !

ولكننى أكتشفت الآن ، والآن فقط .. أن العيب فى كتب الكلام ، وليس فى قلبي الذى يحن إلى الهدى ، ويبحث عن الحقيقة ..

ثم عاد محدثى يسألنى مرة أخرى : أليس فى أنصار السنة المحمدية من كتب العقيدة مايمكن الرجوع إليه ! !

وعدت أجيب : إن أنصار السنة لا تؤلف للناس ماتبعدهم بها عن كتاب الله وسنة رسوله .

وإذا ألف واحد من أنصار السنة كتابا ؛ فإنما يؤلفه ليوجه الناس إلى (كتاب الله) الذى غفلوا عنه ، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى انصرفوا عنها ! !

قال محدثى : ثم ماذا ؟

قلت : ثم ... لا .. ثم !

عد يا صاحبى إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسوله .. تجد العقيدة الصافية ، والدين الخالص ، والحق الواضح ، والصراط المستقيم ... !

قال صاحبى : أفعل .. إن شاء الله !!

محمد عبد المجيد الشافعى
الرئيس العام

من مفردات القرآن

للأستاذ

محمد جميل غازى

الأمثـــــال

﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير ﴾

* * *

● وأصل المَثَل - بفتحتين - هو النظير والمشابه ، ويقال أيضاً : مِثْل - بكسر الميم وسكون الثاء - ويقال : مثيل ، كما يقال : شَبَه ، وشِبه ، وشَبيه . وبدل ، وبِدْل ، وبَديل ، ولا رابع لهذه الكلمات فى مجىء فَعَل ، وفِعْل ، وفعيل ، بمعنى واحد .

● وقد اختص لفظ المَثَل - بفتحتين - بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن ، لأنها بحيث تمثل للناس وتوضح !

و « أمثال العرب » باب من أبواب بلاغتهم ، وقد خصت بالتأليف ، ويعرّفونه ، بأنه : « قول شبّه مضربه بمورده » !

● قال الزمخشرى فى كشافه : « ولضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء

المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كالمشاهد .

ثم يقول : « ولأمر ما أكثر الله تعالى في كتابه المبين أمثاله ، وفشت في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء ، قال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .

* * *

● وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للمنافقين مثلين ، في هذه الآيات التي صدرنا بها هذا البحث .

ففي المثل الأول : شبههم الله بقوم أوقدوا نارًا لتضيء لهم ، وينتفعوا بها ، فلما أضاءت لهم النار ، فأبصروا في ضوئها ماينفعهم ويضرهم ، وأبصروا الطريق - بعد أن كانوا حيارى تائهين - فهم كقوم مسافرين ضلوا عن الطريق ، فأوقدوا النار لتضيء لهم ، فلما أضاءت لهم - وأبصروا وعرفوا - طفئت تلك الأنوار ، وبقوا في الظلمات لا يبصرون ، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث - فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب مما يسمعه بأذنه ، ويراه بعينه ، ويعقله بقلبه - وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى ، فلا تسمع قلوبهم شيئاً ، ولا تبصره ، ولا تعقل ما ينفعها وقيل : لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، نزلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ، ولا عقل ، والقولان متلازمان .

● وقال الله تعالى في صفتهم (فهم لا يرجعون) لأنهم قد رأوا في ضوء النار ، وأبصروا الهدى ، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا .

وتأمل قوله تعالى : (أضاءت ما حوله) كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً ، ولو أن الضوء كان متلبساً به ، داخلاً فيه ، لما ذهب .. لكنه كان ضوءا عارضاً ، والظلمة أصلية ، فرجع إلى معدنه ، وبقيت الظلمة في معدنها !

وتأمل قوله تعالى : (ذهب الله بنورهم) إنه لم يقل : بنارهم ، ليطابق أول الآية ، ولأن النار فيها « إشراق » و « إحراق » فذهب بما فيها من « الإشراق » - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق - وهو النار - !

❁ وتأمل كيف قال : (بنورهم) ولم يقل : بضوئهم ، مع قوله : (فلما أضاءت ما حوله) لأن الضوء زيادة فى النور ، فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشىء وزيادة . وأيضاً ، فإنه أبلغ فى النفى ، وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم !!

❁ وتأمل مطابقة هذا المثل - لما تقدمه من قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) كيف طابق هذه التجارة الخاسرة ، التى تضمنت هول الضلالة والرضا بها - بدلاً عن النور - فبذلوا الهدى والنور ، وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة ، فيا لها من تجارة ما أخسرها ، وصفقة ما أشد غبنها !

❁ وتأمل كيف قال تعالى : (ذهب الله بنورهم) فوحده ، ثم قال : (وتركهم فى ظلمات) فجمعها ؛ فإن الحق واحد ، وهو صراط الله المستقيم - الذى لا صراط يوصل إليه سواه - وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا بالأهواء والبدع .. بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة متشعبة ولهذا يفرد سبحانه الحق ويجمع الباطل ، كقوله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقال تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فجمع سبيل الباطل ، ووحد سبيل الحق .

قال الحسن رضى الله عنه - معقباً على هذا المثل - هو المنافق أبصر ثم عمى ، وعرف ثم أنكر .

* * *

وفى المثل الثانى : شبه الله سبحانه وتعالى الهدى الذى هدى به عباده بالصيب ، لأن القلوب تحيى به حياة الأرض بالمطر ، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له - فيما وراء ذلك - مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب ، وأن تلك الظلمات التى فيه ، وذلك الرعد والبرق ، مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب ؛ فالجاهل لفرط جهله - يقتصر على الإحساس بما فى الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد ، وتعطيل المسافر عن سفره ، والصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب فى الحياة والنفع العام ، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل ، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب وهذه حال أكثر الخلق - إلا من سحب بصيرته - فإذا رأى ضعيف البصيرة ما فى الجهاد من التعب والمشاق ، والتعرض لإتلاف المهجة ، والجراحات الشديدة ؛ لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة ، والغايات التى إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون .

وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان ، الذى يرى ما فى القرآن من الوعد والوعيد ، والزواجر والنواهى ، والأوامر الشاقة على النفوس التى تفطمها عند رضاعها من ثدى المألوفات والشهوات - والفطام على الصبى أصعب شىء وأشقه - والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة ، فهو الذى ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

* * *

هذا كلام ابن القيم رحمه الله حول المثلين نقلته ببعض التصرف وهو كلام - كما ترى - ينبغى أن يتأمله المسلم ويتفهمه ! .

ولقد عرفت - وعرفت - من المثلين كيف أن المنافقين فقدوا النور والأمان فى هذه الحياة الدنيا.

وتوضح لنا « سورة الحديد » كيف أنهم فقدوا النور والأمان فى الحياة الآخرة كذلك يقول الله تعالى : (٥٧ : ١٢ - ١٥ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير).

وهكذا ، ضاع من المنافقين كل شىء ، الأمل ، والأمان ، والنور وعاشوا حيارى يضربون فى بيداء الحياة دون وازع ، أو هادٍ ، أو مرشدٍ أمين !.

وصدق الله العظيم (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور).

محمد جميل غازى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِى السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) صدق الله العظيم

الآيات من ٣٨ إلى ٤٠ من سورة فاطر

العبـــــادة

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين ، واعاذني واياهم من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

إن أهم واجب على المكلف واعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه رب السموات والارض ورب العرش العظيم كما قال في كتابه الكريم (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) واخبرنا سبحانه في موضع آخر من كتابه انه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذه العبادة التي خلق الله الثقلين من اجلها هي توحيده بانواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والسجود والطواف والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة وسائر أنواع الدعاء ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم وقد امر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التي خلقوا لها وارسل الرسل جميعا وانزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفصيلها والدعوة اليها والأمر باخلاصها لله وحده كما قال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال عز وجل (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) ومعنى قضى في هذه الآية أمر واوصى وقال تعالى (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) والآيات في هذا المعنى كثيرة وقال عز وجل ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا

الله ان الله شديد العقاب) وقال سبحانه (يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)

وقال عز وجل : (من يطع الرسول فقد اطاع الله) الآية .

وقال سبحانه (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية ، وقال سبحانه (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا إله الا انا فاعبدون) وقال تعالى : (الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) .

فهذه الآيات المحكمات وما جاء فى معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وان ذلك هو أصل الدين وأساس الملة كما تدل على ان ذلك هو الحكمة فى خلق الجن والانس وارسال الرسل وانزال الكتب فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو فى الأنبياء والصالحين والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها وسؤالهم والاستغاثة بهم واللجاء اليهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل ، ففى الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له أتدرى ما حق الله على العباد وحق العباد على الله فقال معاذ قلت الله ورسوله أعلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) الحديث ، وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار) وخرج مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار) والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وهذه المسألة هى أهم المسائل

وأعظمها وقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى التوحيد والنهى عن الشرك فقام يتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام أكمل قيام وأوذى فى الله أشد الأذى فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه رضى الله عنهم على تبليغ الدعوة حتى أزال الله من الجزيرة العربية جميع الأصنام والأوثان ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكسرت الأصنام التى حول الكعبة وفى داخلها وهدمت اللات والعزى ومناة وكسرت جميع الأصنام التى فى قبائل العرب وهدمت الأوثان التى فيهم وعلت كلمة الله وظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد إلى خارج الجزيرة وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد ونشر الله بهم الحق والعدل فى غالب أرجاء المعمورة وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق ودعاة العدل والإصلاح وسار على سبيلهم من التابعين وأتباعهم باحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون فى الله لومة لائم فأيدهم الله ونصرهم وأظهرهم على من ناوأهم ووفى لهم بما وعدهم فى قوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وقوله عز وجل (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ثم غير الناس بعد ذلك وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد وآثروا الراحة واتباع الشهوات وظهرت فيهم المنكرات إلا من عصم الله سبحانه .

فغير الله عليهم وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا وما ربك بظلام للعبيد قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبا الرجوع إلى الله سبحانه وإخلاص العبادة له وحده والتوبة إليه مما سلف من تقصيرهم وذنوبهم والبدار بأداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد عما حرم عليهم والتواصى فيما بينهم بذلك والتعاون عليه .

ومن أهم ذلك إقامة الحدود الشرعية وتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وعدم التحاكم إليها وإلزام جميع الشعوب بحكم الشرع ، كما يجب على العلماء تفقيه الناس في دينهم ونشر التوعية الإسلامية بينهم والتواصي بالحق والصبر عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع الحكام على ذلك كما يجب محاربة المبادىء الهدامة من اشتراكية وبعثية وتعصب للقوميات وغيرها من المبادىء والمذاهب المخالفة للشريعة .

وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان فاسداً ويرد لهم ما كان شاردا يعيد لهم مجدهم السالف وينصرهم على عدوهم ويمكن لهم في الأرض كما قال تعالى وهو أصدق القائلين (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

والله المسئول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه في الدين ويجمع كلمتهم على التقوى ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ، وصلى الله وسلم على عبده ، ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه — والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن باز

رئيس الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

الحكم البليغة

لسماحة الشيخ

عبد الله بن حميد

رئيس الإشراف الديني بمكة المكرمة

يقول ابن تيميه رحمه الله : كل ماخرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عادات الجاهلية . بل لما اختصم مهاجرى وأنصارى فقال المهاجرى: ياللمهاجرين ، وقال الأنصارى : ياللأنصار - قال النبي صلى الله عليه وسلم « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » !! وغضب لذلك غضبا شديدا . اه ..

وقوله صلى الله عليه وسلم :« ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » صريح فى إبطال العصبية الجنسية وإبطال التفاضل بالألوان، فالأسود والأحمر والعربى والعجمى كلهم بنو آدم خلقهم الله من ذكر وأنثى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ . فدلت الآية الكريمة على أن الجميع من أصل واحد ، وأن الله جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف فيما بينهم . أما المنزلة عند الله فلا تنال إلا بالتقوى ، جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة ، فأذن ، فقال عتاب بن أسيد بن أبى العيص : الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم . قال الحارث ابن هشام: ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره . وقال أبو سفيان إنى لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء .

فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم، وسألهم عما قالوا ، فأقروا، فأنزل الله هذه الآية، زجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال ، والأزدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى، أى الجميع من آدم وحواء إنما الفضل بالتقوى .

وقد وجد من الأعاجم من فيه خير وصلاح ونالوا من العلم والفضل والتقى مالم ينله غيرهم كسلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى .

كما وجد من التابعين فمن بعدهم ممن له سبق فضل وعلم وتقى وقيام بنصر هذا الدين . ففى صحيح مسلم عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله وفى رواية لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس .

وروى الترمذى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ أنهم من أبناء فارس إلى غير ذلك من آثار رويت فى فضل رجال من أبناء فارس ومصداق ذلك ماوجد فى التابعين ومن بعدهم من أبناء فارس الأحرار والموالى مثل الحسن وابن سيرين وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم إلى من وجد بعد ذلك فيهم من المبرزين فى الإيمان والدين والعلم حتى صار هؤلاء المبرزون فى ذلك أفضل من أكثر العرب وكذلك فى سائر أصناف العجم من الحبشة والروم والترك وغيرهم سابقون فى الإيمان والدين لايحصون كثرة على ماهو معروف عند العلماء إذ الفضل الحقيقى هو اتباع مابعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا فكل من كان فيه أمكن كان أفضل والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة فى الكتاب والسنة مثل الاسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والإحسان ونحو ذلك لابمجرد كون الانسان عربيا أو عجميا أو أسود أو أبيض ولا بكونه بدويا أو قرويا .

نقل ابن حجر فى تهذيب التهذيب عن الزهرى أنه قال : قدمت على عبد الملك ابن مروان فقال من أين قدمت يازهرى . قال : قلت من مكة قال ومن خلفت يسودها وأهلها؟ قلت عطاء ابن أبى رباح قال فمن العرب أم من الموالى ؟ قلت من الموالى . قال فبم سادهم؟ قال قلت بالديانة والرواية قال أن أهل الديانة والرواية لينبغى أن يسودوا . قال فمن يسود أهل

اليمن؟ قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب أم من الموالى؟ قال قلت من الموالى قال فبم سادهم ؟قلت بما ساد به عطاء قال إنه لينبغى ذلك قال فمن يسود أهل مصر ؟ قلت يزيد بن حبيب قال فمن العرب أم من الموالى ؟قال قلت من الموالى قال فمن يسود أهل الشام ؟ قلت مكحول قال فمن العرب أم من الموالى؟ قال قلت من الموالى (عبد نوبى أعتقته امرأة من هذيل) قال فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب أم من الموالى؟ قال قلت من الموالى قال فمن يسود أهل خراسان؟ قال قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب أم من الموالى؟ قال قلت من الموالى قال فمن يسود أهل البصرة ؟ قال قلت الحسن البصرى قال فمن العرب أم من الموالى قال قلت من الموالى قال ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟قال قلت إبراهيم النخعى قال فمن العرب أم من الموالى؟قال قلت من العرب قال ويلك يازهرى فرجت عنى والله لتسودن الموالى على العرب فى هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال قلت ياأمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط .

قال ابن رجب على قوله صلى الله عليه وسلم ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه معناه أن العمل هو الذى يبلغ بالعبد درجات الآخرة كما قال (ولكل درجات مما عملوا) .

فمن أبطأ به عمله لم يبلغ به المنازل العالية عند الله ولم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال لاعلى الأنساب كما قال تعالى ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ . وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال كما قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وقال ﴿ والذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً » وفى رواية خارج الصحيحين : « إن أولياءى منكم المتقون يأتى الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وتقولون يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت » .

وخرج ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أولياءى المتقون يوم القيامة وإن كان نسب أقرب من نسب يأتى الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا وهكذا ، فأعرض فى كلا عطفيه » . وخرج البزار من حديث رفاعة ابن رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر « اجمع لى قومك » يعنى قريشاً فجمعهم فقال : « إن أولياءى منكم المتقون فإن كنتم أولئك فذاك وإلا فانظروا يأتى الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم » وخرجه الحاكم مختصراً وصححه . . وفى المسند عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بايعته اليمن خرج معه يوصيه ثم التفت وأقبل بوجهه إلى المدينة فقال : « إن أولى الناس بى المتقون من كانوا حيث كانوا » وخرجه الطبرانى وزاد فيه : « إن أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى ، وليس كذلك ، إن أولياءى منكم المتقون وحيث كانوا » . ويشهد لهذا كله مافى الصحيحين عن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن آل بنى فلان ليسوا لى بأولياء وإنما ولى الله وصالح المؤمنين يشير إلى أن ولايته لا تنال بالنسب وإن قرب ، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح فمن كان أكمل إيماناً وعملا فهو أعظم ولاية له سواء كان له نسب قريب أو لم يكن » ففى هذه الأحاديث ونظائرها بطلان التعصب القومى إذ لا فضل لعربى على

عجمى إلا بالتقوى — والنبى صلى الله عليه وسلم يشير فى هذه الأحاديث أن أولياءه هم المتقون سواء كانوا من العرب أو من العجم . وفى هذا المعنى يقول بعضهم شعراً :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه
فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الشرك الشقى أبا لهب

قوله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس : من كانت له وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » . تقدم شرحه فى الكلام على حديث أبى حرة .

قوله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان أيس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان الخ » . . تقدم الكلام عليه فى حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه .

قوله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم ، وتجيء الناس بالآخرة فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً » .

يشير صلى الله عليه وسلم إلى أنه لا يغنى عشيرته وأقاربه من الله شيئاً وإنما ينجيهم من عذاب الآخرة الإيمان بالله والعمل الصالح ، ويحذر قريشاً من الركون إلى الدنيا والعمل لأجلها بقوله « تجيئون بالدنيا تحملونها على رقابكم » أى أن جل عملكم فى الدنيا هو تحصيلها والسعى لجمعها مع نسيان الأعمال الأخروية ، وأن مجرد قرابتى منكم مع تخلف الإيمان بالله والعمل الصالح لا ينفعكم ولا يغنى عنكم من الله شيئاً ، وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » وقوله : « وتجيء الناس بالآخرة » أى لما قدموه فى الدنيا من الأعمال الصالحة والتقرب إلى الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه والعمل بأوامر الكتاب والسنة . وفيه دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يغنى أحداً شيئاً يوم القيامة كما قال تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله) وفيه إبطال التعلق بالأموات والغائبين من الأنبياء وغيرهم كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة .

فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما نزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) : يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً » وقال لعمته صفية مثل ما قال لعمه العباس . وقال : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت لاأغنى عنك من الله شيئاً » فإذا كان سيد المرسلين بين أنه لا يغنى شيئاً عن سيدة نساء العالمين . ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين فالرسول صلى الله عليه وسلم ينذر عشيرته وأقاربه وعمه عمته وابنته التى هى بضعة منه قائلاً لهم اشتروا أنفسكم أى بالإيمان بالله والعمل الصالح وأن مجرد قربهم منه مع تخلف الإيمان والعمل لا ينفعهم بشىء . .

قوله صلى الله عليه وسلم « لا نبى بعدى ولا أمة بعدكم » فى هذا دلالة بأن النبوة انقطعت بوفاته صلوات الله وسلامه عليه . وأنه خاتم النبيين كما قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

وأن هذه الأمة هى آخر الأمم وهى أفضلها وأكرمها على الله ، قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فى هذه الآية تنبيه على شرف هذه الأمة وفضلها متى اتصفت بهذه الصفات السامية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله . وفى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) ما يدل على ذلك حيث جعلهم وسطاً أى عدلا خياراً وأنهم شهداء على غيرهم من الناس .

قوله صلى الله عليه وسلم « فاعبدوا ربكم » أى وحدوا ربكم بأن تفردوه بالعبادة كما فى قوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم) قال ابن عباس : كل موضع جاء فى القرآن أعبدوا ، المراد به وحدوا والمعنى هو أن العباد يوحدون الله بأفعالهم فلا يدعى ولا يذبح ولا ينذر إلا لله ولا يستغاث ولا يستعان إلا به إلى غير ذلك من أنواع العبادة . التى عرفها بعضهم بأنها اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة

والباطنة ، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها وأرزاقهم فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره .

قوله صلى الله عليه وسلم « وأقيموا خمسكم » أى الصلوات الخمس التى كتبها الله على عباده فى اليوم والليلة وإقامتها هو تأديتها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها فى أوقاتها على النحو الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤديها وتخصيص الإقامة تنبيه على أنه لم يرد إيقاعها فقط ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة نحو أقم الصلاة وقوله (والمقيمين الصلاة) . . و (الذين يقيمون الصلاة) ولم يقل المصلى إلا فى المنافقين (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . وذلك تنبيه على أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل كما قال عمر رضى الله عنه : الحاج قليل والركب كثير ، والصلاة هى أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين فلها من المزايا والخصائص ماليس لغيرها من بقية شرائع الإسلام . . منها أن الله وجبها علينا فى اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الزكاة والصوم والحج . ومنها أنها أكثر الفرائض ذكراً فى القرآن . ومنها أن الله تعالى تولى فرضيتها على رسوله صلى الله عليه وسلم بنفسه فوق السماء السابعة .

ومنها أن الصلاة هى عمود الإسلام فلا إسلام لمن لا صلاة له .

ومنها أنها من آخر ما وصى به النبى صلى الله عليه وسلم عند وفاته فإنه جعل يقول « الصلاة الصلاة وما ملكت إيمانكم » .

ومنها فرضيتها على الذكر والأنثى والحر والعبد والغنى والفقير والصحيح والمريض والمقيم والمسافر . ومنها أن الله لا يقبل من تاركها زكاة ولا صوماً ولا حجاً ولا جهاداً ولا أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر ولا صلة رحم ويقتل تاركها على تفصيل مذكور فى كتب الأحكام وعند جمع من العلماء إذا قتل لتركه الصلاة لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين فى مقابرهم كما هو المشهور من مذهب أحمد وغيره .

قوله صلى الله عليه وسلم « وصوموا شهركم » أى شهر رمضان . فإن صومه أحد

أركان الإسلام الخمسة لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وكما في حديث « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام ».

وفرض الصوم في السنة الثانية من الهجرة وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات فيجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر أن يصوم شهر رمضان ولا يجوز التخلف عن صيام هذا الشهر إلا لعذر كما هو مبسوط في كتب الفقه.

قوله صلى الله عليه وسلم « وأطيعوا ولاة أمركم ».

يأمر صلى الله عليه وسلم بطاعة ولاة الأمور. قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وفي الحديث « اسمع وأطع لمن ولاه الله أمرك وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ».

فبولاة الأمور تأمن السبل وتقام الحدود وتنفذ الشرائع وينتصر المظلوم ويردع الظالم ولما في الخروج عليهم من سفك الدماء ونهب الأموال واختلال الأمن وضياع الحقوق والفساد الكبير.

قوله صلى الله عليه وسلم « ثم ادخلوا جنة ربكم ».

أي متى عبدتم الله حق عبادته وأقمتم الصلاة مع بقية شرائع الإسلام وطاعة ولاة الأمور في المعروف كان ذلك سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

لسماحة الشيخ

عبد الله بن حميد

السُّنة

الوحى . . قرآن وسنة

للدكتور

محمد الاحمدى أبو النور

لقد أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه العظيم ، كما أوحى إليه معه بيانه الحكيم ؛ إتماماً للنعمة ، ومنعاً للقول فى كتاب الله ودينه بغير ماجاء عن الله ورسوله

ولقد امتن الله على الأمة بما أوحى إليها من القرآن والسنة :

والسنة : هى الحكمة المبينة للقرآن ، والمتكاملة معه فى توضيح المنهج الأقوم لتنظيم شئون هذه الحياة فى العقيدة وفى التشريع وفى الأخلاق وفى السلوك .

أمتن الله بالقرآن والسنة ، ونظمهما - معاً فى عقد واحد ، وجعل مناط هذا الامتنان هو كونهما أنزلا معاً على نبينا صلى الله عليه وسلم - دون أن يقتصر الإنزال والوحى على القرآن وحده .

هذا ما يشير إليه قوله تعالى : - البقرة : (٢٣١ - ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾

ولهذا اعتبرت السنة هى المفسر الثانى للكتاب العزيز ، بعد الكتاب العزيز نفسه ؛ قال ابن كثير : « فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : أن أصح الطرق فى ذلك : أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل فى مكان فإنه قد بسط فى موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه » .

يعني : السنة .

والسنة ـ أيضاً ـ تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن »[1].

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه معلق القلب بالقرآن ، وكان لفرط حبه إياه يشفق حين يتلقاه من جبريل عليه السلام أن لا يتمكن من جمعه وحفظه مع ما يعانى حينئذ من شدة التنزيل ، وعسر الحفظ ؛ فكان يعاجل بالقراءة عقب انتهاء جبريل من كل كلمة ، ومن كل آية ، فيحرك لسانه وشفتيه بالقراءة حتى يتمكن من حفظه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه ﴾ ـ القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

أي : لا تردد كلماته وآياته ، قبل أن ينتهي جبريل من وحيه ، لتسارع بأخذه ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ ـ طه : ١١٤ .

إن علينا جمعه وضمه في صدرك ، بتيسير حفظك له .

إن علينا ـ كذلك ـ قرآنه ؛ أي قراءته : أي تيسير قراءتك له بعد ذلك .

فإذا قرأه جبريل عليك بأمرنا وتكليفنا ، وانتهت قراءته ، فاتبع قراءته ، واقرأ أنت .

ثم إن علينا بيانه : أي بيانه وإظهاره بلسانك فتقرؤه كما أقرأك جبريل ، وعلينا كذلك بيانه ، أي : تبيين ما فيه من الأحكام وما يتعلق بها من الحلال والحرام ، والتفصيل والإجمال ، والتقييد والإطلاق ، وما إلى ذلك .

والبيان بهذا المعنى الثاني هو ما تكفلت به السنة .

قال ابن حجر ـ في قوله : (بيانه) جنس مضاف فيعم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ ، وغير ذلك »[2]

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣ .

(٢) فتح الباري ٨ / ٥٥٥ .

والظاهر - كما ذكر ابن حجر : أن نزول هذه الآيات كان فى صدر الإسلام ، وقد استنبط هذا من أمور :

الأول : أن سورة القيامة مكية بالاتفاق .

والثانى : إيراد البخارى لحديث معالجة الرسول لشدة الوحى - فى كتاب بدء الوحى .

الثالث : أن رواية ابن عباس للحديث توحى أنه لم يشهد حال النبى صلى الله عليه وسلم وقت التنزيل ، وإنما حكيت له عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ينبىء عن ذلك قوله : وكان مما يحرك شفتيه .. فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما - وهذا فى حديثه لسعيد بن جبير .

أما سعيد بن جبير ، فيقول : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، وذلك لأن سعيدا شهد تحريك ابن عباس لشفتيه .

ويؤكد هذا أن مولد ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن إلا قبل الهجرة بثلاث سنوات .

على أية حال فإنه منذ بدأ الوحى يتنزل - تكفل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بجمعه فى صدره وتيسير إقرائه له ؛ فلم يفلت منه شىء ولا نسى منه شىء ، كما قال تعالى - الأعلى : ٦ (سنقرئك فلا تنسى) .

كما تكفل الله تعالى ببيان كتابه على ما سبق أن بينا فى معنى هذا البيان .

وإذاً فبيان القرآن وتفسيره ، وتفصيل ما أجمل فيه ، لم يكن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلالا ، وإنما كان وحياً يوحيه الله إليه ، فيبلغه عن الله كما يريد الله عز وجل ، وكما كلفه سبحانه بتبليغه حيث يقول تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ - المائدة : ٦٧

أو كان اجتهادا يلهمه الله الصواب فيه ، ثم يقره عليه .

فما أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لم يكن القرآن وحده وإنما كان القرآن وبيانه ، أو بمعنى أعم . كان القرآن والسنة .

محمد الأحمدى أبو النور

بين العقل والدين

أولا : منزلة الإسلام .. ومنزلة العقل فيه

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

— ١ —

الدين عقيدة .. هذه حقيقة تنبع من كل دين ، أيًّا كان مبلغه من الحقّ ، فلا دين إلاّ عن عقيدة يعتقدها المتدين فيما يَدِينُ به من حقّ أو باطل .

ذلك أن معنى الدّين هو الولاء ، والخضوع ، لمن يعطيه المرء حقّ الطاعة له ، ومطالبته بهذا الحقّ ، واقتضائه منه ، كما هو الحال بين الدائن والمدين ، حيث لا تبرأ ذمة المدين إلاّ بالوفاء لصاحب الدّيْن بدينه . . وإن كان هذا التشبيه لا يمثل إلا وجهاً واحداً من وجوه الشبه بين الدِّين والدَّيْن . . ذلك أن الدِّين أعمّ وأشمل ، حيث يقتضى أكثر من حقّ لمن يَدِين له المتديّن ، إذ هو مملوك لمن يَدِين له مِلْكاً مطلقاً ، يتناول وجوده كلّه ، ظاهراً وباطناً ، جسداً وروحاً ، عقلاً وقلباً .

وإذ كان الدِّين على هذا الوصف من القوة والسلطان ، فإنه لا يملك هذه القوة ، ولا يقوم له هذا السلطان إلاّ إذا كان نابعاً من عقيدة سارية فى وجود الإنسان كله ، فكراً وشعوراً ، إحساساً وعاطفة ، وإنه على قدر ما تكون عليه العقيدة من قوة أو ضعف ، يكون مقام الدِّين ، ويكون سلطانه على صاحب هذا الدّين .

والسؤال هنا عن العقيدة : ما هى ؟ وما العناصر المكوِّنة لها ؟ .

ونقول : إن العقيدة هى إيمان ينتظم العقل ، والشعور ، والوجدان ، بقوة فوق قوة الإنسان ، لها القدرة على التصرف المطلق فى هذا الوجود ، أو على الأقل فى المحيط الذى يدور الإنسان فى فلكه ويتأثر به . . وهذا المعتقد فى تلك القوة ، يفرض على الإنسان الخضوع لتلك القوة ، والولاء لها ، والعمل على مرضاتها ، حتى يضمن الأمن والسلامة فى ظلها ، فتمنحه الخير ، وتدفع عنه الأذى والضر .

وهذا التصور الذى يعتقده الإنسان فى هذه القوة ، إنما يتخلق من مجموعة من الأفكار والمدركات - الحقيقية أو الوهمية - التى تكشف للمرء عن وجه هذه القوة - الحقيقى أو التوهم - فيراه حقاً أو توهما - ذا سلطان قوى ، يفرض عليه الولاء له ، والزلفى إليه .

ومن هنا ينشأ الدين ، وما يقوم عليه هذا الدين من عبادات ، وطقوس ، وقرابين ، ونحو هذا ، مما يتعبد به المتعبدون لمن يعبدون .

— ٢ —

ومن هنا ندرك خطر العقيدة ، وخطر الآراء والتصورات التى قام عليها بناؤها فى كيان الإنسان . . فإذا كانت مقدماتها صحيحة من المعقولات ، والمدركات ، والتصورات ، كانت نتائجها صحيحة فى كل تصرفات الإنسان ، قولاً وفعلاً ، وسلوكاً . أما إذا كانت مقدماتها مستوحاة من تصورات مريضة ، وأوهام فاسدة ، كانت نتائجها شائهة الوجوه ، معطوبة الثمرات ، فى الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق !

أفلم تكن تلك المذاهب المنحرفة الضالة ، المخربة لبناء المجتمعات الإنسانية التى ظهرت فيها ، كالمزدكيه ، والخرمية ، والقرمطية ، ونحوها . . ألم تكن هذه المذاهب ، عقيدة ، ثم ديناً ، يتعبد فيه أتباعه لمعبوداتهم بالفسق ، والفجور ، واستباحة الحرمات فى الأموال ، والأعراض ، والدماء ؟ .

ورأيى ! ! إنها عقيدة ، ودين ، لها قواعد ، ورسوم ، وطقوس ، تتعبد بها ، وترجو من عقادها ، ما يرجو المؤمنون بالله ، من عبادتهم لله رب العالمين ، حتى يرضى الله تعالى عنهم فى الدنيا والآخرة جميعاً ؟ .

ونخلص من هذا إلى القول بأن العقيدة فى ذاتها ، يمكن أن تكون صالحة ، كما يمكن أن تكون فاسدة ، وأن صلاحها أو فسادها إنما مردّه إلى سلامة العقل أو فساده ، ويقظته أو غفلته ، واستنارة البصيرة فيه أو ظلامها ، واستعداد المرء لقبول الحق أو الإعراض عنه ، واستساغة الطيب ، أو استطعام الخبيث .

وفى الإنسان ـ أى إنسان ـ استعداد فطرى لقبول الخير ، والتهدّى إلى النور ، والتعرف على الخالق جلّ وعلاَ ، كما يقول الله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريّتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا)[1] . . فهذا ميثاق أخذه الله تعالى على الناس جميعاً ، بما منحهم من فطرة سليمة يولدون بها ، ومن عقل ـ حسب لهذه الفطرة . . وفى هذا يقول الحق سبحانه : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ، واتقوا الله إن الله عليم بذات

وبهذا الميثاق الموثق بين الله تعالى ، وبين الإنسان ـ بما أودع فيه الخالق سبحانه من فطرة وعقل ـ قامت حجة الله على عباده ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ، فى مقام الوعيد لهؤلاء الذين فسقوا ونقضوا هذا الميثاق ، إذ يقول جلّ شأنه : ﴿ وما يُضِلُّ به إلاّ الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون[2] . . ونقض عهد الله من بعد ميثاقه ، هو نقض ما أخذه الله تعالى على بنى آدم وهم فى عالم الذر ، منذ كانوا نطفاً فى ظهور آبائهم ، حيث تحمل هذه النطف كل المكوّنات الأصلية للإنسان ومنها الفطرة النقية المهيأة للإيمان بالله ، وأما قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل ، فهو إشارة إلى كفر الكافرين وشرك المشركين ، الذين قطعوا إيمان الفطرة ، ولم يصلوه بإيمان الدعوة

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة البقرة : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣) سورة المائدة : ٨

التى حملها رسل الله إلى الناس . . ومعنى هذا أن مع كل إنسان داعياً يدعوه إلى الإيمان بالله ، ورسولاً من ذات نفسه يكشف له معالم الطريق إلى الله ، وهو فطرته التى يؤازرها العقل ، وإلى جانب هذا الداعى ، وذلك الرسول ، بعث الله من رحمته داعياً ، ورسولاً ، هو الذى يحمل إلى الناس رسالة الله تعالى إليهم ، ليوقظ فى كيانهم هذا الداعى الذى نام فى ظل الغفلة والجهالة ، وهو الفطرة والعقل .

ولهذا لم يكن من مهمة رسل الله وأنبيائه إلاّ تبليغُ رسالة الله إلى الناس ، وتذكيرُهم بما نسوه من عهد الله وميثاقه ، حين انطمست معالم فطرتهم ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . . وهذا ما يشير إليه الله سبحانه وتعالى فى أكثر من موضع فى كتابه الكريم ، فيقول سبحانه : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب ﴾[1] ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم . . صلوات الله وسلامه عليه ﴿ فذكر إنما أنت مذكّر ﴾[2] . . ويقول جل شأنه : ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾[3] .

وأكثر من هذا ، فقد سمّى الله تعالى القرآن الكريم « ذكراً » فقال تعالى : ﴿ ص . والقرآن ذى الذكر ﴾[4] . وقال سبحانه : ﴿ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾[5] . . وقال جل شأنه : ﴿ ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾[6] .

— ٣ —

فهناك إذن أكثر من داع يدعوه إلى الله ، ويكشف له معالم الطريق إلى خالقه : الفطرة ، والعقل ، ثم الرسول المبلغ عن الله تعالى ، لمن بلغته الدعوة .

وإذا كان ما فى الإنسان ـ مما أودع الخالق سبحانه فى الإنسان من عقل وفطرة ـ

---

(١) سورة ص : ٢٩ (٢) سورة الغاشية : ٢١ (٣) سورة ق : ٤٥
(٤) سورة ص : ١ (٥) سورة الحجر : ٦ (٦) سورة القمر : ١٧

ما يكفي للتعرف على الله تعالى ، والإيمان به إلهاً واحداً لا شريك له ، وكان ذلك وحده كافياً لإقامة الحجة على من كفر بالله ، وضلّ عن سبيله - فإن رحمة الله تعالى بالناس قد جاءتهم في صورة رسل من رسله ، يحملون إليهم دعوة محددة من الله تعالى إلى الإيمان به ، ويرفعون بين أيديهم مشاعل الهدى ، لمن ضل عن الطريق ، وذلك مظاهرة للحجة على الناس ، كما يقول سبحانه : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (١) .

ومع هذا ، فإن كثيراً من الناس ، قد كذبوا هذه الرسل جميعاً . . رسول الفطرة ، ورسول العقل ، ورسول الله ، وما معه من كتاب الله . . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ ونفس وما سوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها ، وقد خاب من دسّاها ﴾ (٢) .

ونودّ أن نقف قليلاً بين يدى قوله تعالى : « ونفس وما سوّاها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها ، وقد خاب من دسّاها » .

ففى قوله تعالى : « ونفس وما سوّاها » إشارة إلى النفس الإنسانية ، التى هى جوهر الإنسان ، وما فيه من فطرة وعقل . . فهذه النفس قد سواها الخالق سبحانه ، ومعنى تسويتها ، إقامتها على الصحة والسلامة ، أشبه بالبذرة الناضجة السليمة الصالحة للإنبات ولتكون زرعاً ناضراً مثمراً .

وفى قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » إشارة إلى ما فى هذه النفس المسوّاة بهذه القدرة من استعداد الفطرة المركوزة فيها إلى أن يشرف عليها نور العقل ، فينميها ، ويغذّيها ، ليبلغ بها مبالغ الرشد ، والكمال ، أو بتركها العقل هملاً ، فتسلط عليها الآفات ، فيصيبها العطب والفساد . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « قد أفلح من

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ (٢) سورة الشمس : ٧ - ٩

زكاها ، وقد خاب من دساها » . . ومعنى « زكاها » أى زكى هذه الفطرة ، ونماها ، فزكت بذلك نفسه ونمت ، وأثمرت الطيب من القول والعمل ، وارتقت بصاحبها إلى مراقى الفلاح . . ومعنى « دساها » أى حجبها عن نور العقل ، وحبسها فى الظلام ، فضمرت ، وعطبت ، فتداعى عليها الفساد ، الذى يرعى كل صالحة فى الإنسان ، فكان نصيبه الخيبة ، مما كان ينتظره من حصاد هذه البذرة !

— ٤ —

لا نستطيع بعد هذا أن نقرر فى يقين ما للعقل من مكان مكين فى بناء العقيدة الدينية ، وفى تثبيت دعائمها ، وترسيخ قواعدها ، وأن عقيدة دينية لا تستند إلى العقل ، ولا تدعم حقائقها بالأمر السليم ، والإدراك الصحيح ، لا تقع موقع اليقين من صاحبها . ولا تنزل منزل الاطمئنان من قلبه ، إذا هبت عليها أية ريح من رياح الكفر والإلحاد .

وإذا كان بعض الأديان قد عبث بها رجال الدين ، واتخذوا منها مطايا إلى السلطان الذى يقيمونه على الناس باسم الدين ، وتحت راية الحق السماوى الذى ادعوه لأنفسهم ، فغيروا وبدلوا فى الدين ، حتى ينطق بما يشتهون ، فحجبوا عقول أتباعهم عن النظر فى مقولات الدين ، وإعطاء عقولهم الحق فى فهم ما يقال لهم عنه إنه كلام الله ، بحجة أن هناك أسراراً فى الدين ليس لغير رجال الدين من الأحبار والرهبان علم بها ، حيث خص الله تعالى بها هؤلاء الأحبار والرهبان ، وجعلهم المبلغين عن الله ، ما يريد إبلاغ الناس إياه ، كما يزعمون !

نقول : إذا كان هذا هو شأن بعض الأديان القائمة اليوم ، وما يفرضه الرؤساء الدينيون على أتباعهم من الوصاية على عقولهم ، والوكالة فى التفكير عنهم فى كل ما يتصل بعقيدتهم — فإن الإسلام قد حرر الإنسان تحريراً مطلقاً من أية سلطة يدعيها أحد فى الوصاية عليه فى عقيدته ، وفى الاتصال بخالقه عن طريق هذه العقيدة . ولهذا أعطى الإسلام كل من يدين به — أعطاه حقه كاملاً من النظر فى أصول عقيدته ، وفى تقليب

وجوه هذا النظر ، وألا يقبل شيئاً من أصول هذه العقيدة دون النظر فيه ، ومراجعة العقل له ، حتى يعرف وجه الحق الذى يدين به ، وحتى يقع هذا الذى يعرفه موقع اليقين منه ، والاطمئنان إليه ، ومن هنا يكون لما يعتقده سلطان قائم عليه ، متمكن منه ، مؤثر فيه ، رقيب عليه .. إنه ما من سلطان على المسلم فى عقيدته ، وفى صلته بخالقه ، إلا كتاب الله ، وسنة رسول الله ، يحتكم إليهما ، ويَرُدّ عقله على ما يقضيان به ، ثم إن له بعد هذا أن يقبل أو يرفض ، وأن يؤمن أو يكفر ، وفى هذا يقول تعالى : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »[1] .. ويقول جل شأنه : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ﴾[2] .

وبهذا ، وبهذا وحده تتحرر إرادة الإنسان من كل ضغط مادى أو أدبى عليها من أى مؤثر خارجى . فهو فى هذا سيد نفسه فى معتقده ، وفى صلته بربه ، وبين يديه كتاب الله وسنة رسول الله ، وهو مطالب شرعاً ، وعقلاً أن يوجه ملكاته ، ومدركاته جميعها إلى ما يحمل كتاب الله ، وسنة رسول الله من دعوة إلى الحق الذى يُدْعى إليه ، وألاَّ يكون كالببغاء يردد ما يسمعه دون فهم أو إدراك لِمَرَدّه !

وقد نعى الله تعالى على أولئك الذين عطلوا ملكات تفكيرهم ، وأسقطوا توافذ العلم والمعرفة دون عقولهم .. فقال تعالى فى هؤلاء الآدميين الذين هم أشبه بالأنعام منهم بالناس : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾[3] .. ويقول تبارك اسمه : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾[4] .

---

(١) سورة الكهف : ٢٩ (٢) سورة القيامة : ١٤ ـ ١٥

(٣) سورة الأعراف : ١٧٨ (٤) سورة البقرة : ٦ ـ ٧

ثم فى الوقت الذى ينعى فيه الله تعالى على هؤلاء الذين استخفوا بوجودهم ، وأهدروا آدميتهم ، نوّه سبحانه بعباده الذين عرفوا نعمة الله عليهم ، وما أودع فيه من قوى عقلية وإدراكية ، بها استحقوا أن يكونوا خلفاء الله فى الأرض ، فقال تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[1] . فأولوا الألباب هم الذين أعطوا عقولهم حقها من النظر والتدبر فى هذا الوجود ، وفى قراءة صحفه ، وما فى هذه الصحف من آيات وعبر ، يرى منها الناظر المتأمل طريقه الذى يدخل منه إلى هذا العالم الرحيب ، ويتزود به بزاد عتيد من العلم والمعرفة ، يقيم بهما لنفسه سلطاناً على ما بين يديه من أسرار الحياة المخبوءة فى صدرها ، والتى لا يصل إلى شىء منها إلا أهل العلم والمعرفة .

ولهذا أكرم الله تعالى أهل العلم ، وجعلهم شهوداً من شهود الحق معه ، ومع ملائكته ، فقال سبحانه : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[2] وقال جل شأنه : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾[3] . . وقال تبارك اسمه : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[4] . . وقال سبحانه : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ (٢) سورة آل عمران : ٦

(٣) سورة المجادلة : ٩ (٤) سورة الزمر : ١١ (٥) سورة الأنعام : ١٢٢

البقية فى العدد القادم

تحكيم العقل .. أى عقل هذا .. ؟

القسم الثانى : استعمال العقل وحدوده

للأستاذ الدكتور

أمين رضا

أستاذ جراحة العظام والتقويم بكلية طب جامعة الاسكندرية

درسنا فى القسم الأول من هذا البحث المنشور فى الأعداد السابقة العقل الإنسانى وخواصه وحدوده ، واتصاله بالعالم الخارجى عن طريق الحواس لجمع المعلومات وتخزين الخبرة .

وندرس فى القسم الثانى استعمال هذا العقل . وحدوده .

استعمال العقل وحدوده :

قد يخطىء علماء الأمس واليوم عند استعمالهم لعقولهم بإحدى طريقتين . فقد ينبع خطأهم من اقتناعهم بأن العلم الذى لديهم ليس بعده ولا وراءه ولا أمامه أى علم آخر . وهذا هو الغرور المتغطرس نفسه . وقد يكون الخطأ لأنهم استعملوا ما لديهم من علم واجتهدوا فيه وأسسوا نظرياتهم ، لا على أنها هى الكلمة الأخيرة ، بل على أنها النظريات التى يرتضيها عقلهم حسب علوم زمانهم .

وعلماء اليوم الذين يدرسون النظريات القديمة ويكشفون عن خطئها يحترمون علماء العصور الأولى . ويقولون عنهم إنهم كانوا ضالعين فى العلوم مؤسسين لها . فمع خطئهم فقد اجتهدوا . وسار على نهجهم العلماء الذين جاءوا بعدهم . قلدوهم فى الاجتهاد ولم يقلدوهم فى الخطأ . فصححوا ما قاله الأولون . ولم يكذبوهم . بل احترموهم . لأن علماء اليوم يرون أنهم لو عاشوا فى تلك القرون الأولى لما وصلوا بتفكيرهم إلا إلى نفس النتائج التى وصل إليها العلماء الأوائل .

والمسلمون علماء فى اختيارهم لتصرفاتهم مثل علماء السنن الكونية . فهم يزنون الأمور التى تكون فى نطاق إدراك حواسهم وفى محيط فهم عقولهم . ويبنون قرارهم على ذلك . مع إحساسهم العميق بأنه توجد أشياء كثيرة غائبة عن إدراكهم الحسى ، وتفكير عقلهم . هذه الأشياء فى علم علام الغيوب فقط ، وقد تؤثر على قرارتهم فى أى اتجاه ، وقد يظهر لهم مستقبلا خطأهم فى التقدير ، وقد ينتهى قرارهم إلى عكس ما كانوا يهدفون ، وقد ينتهى إلى نتائج تتفاوت مقدار نجاحها . وإخفاقها ، ولذلك فإنهم إذا ما فكروا ودبروا ، فهم يتوكلون على الله علام الغيوب ، ويقولون بإيمان راسخ « إن شاء الله » ، وهذا هو العلم الحقيقى . لأن من يقولها يعلم أن جهله أكثر من علمه ، وأن الغيب أوسع من الواقع الملموس . أما من لم يقلها فهو مغتر بنفسه وبعلمه ، وهو أجهل من أن يدرك أن ما غاب عنه لا نهاية له ، وهو يخيل إليه أن علمه ليس بعده ولا قبله ولا أمامه ولا وراءه ولا فوقه ولا تحته علم . فى حين أنه فى الحقيقة ما أوتى من العلم إلا قليلا .

وبما أن هناك حدوداً للعقل والحواس المؤثرة فيه ، فإن الإنسان يجتهد فى فهمه للأشياء ، ويصل إلى قرار بالنسبة لها ، ولا يمانع أبداً مستقبلا فى أن يغير قراره هذا بعد أن تتضح له أمور لم تكن فى علمه من قبل .

وأخشى ما يخشاه المسلم فى دينه هو أن يفسر بعلمه الحاضر آية قرآنية ثم يتضح له بعد ذلك أن تفسيره كان خطئاً لأن علمه يتغير ولكن علم الله لا يتغير . أو أنه نال عن حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم « غير معقول » ثم يتضح له مستقبلا أنه معقول . فعلم الإنسان يتغير كلما تقدم الزمن بسبب تكشف الجهل شيئاً فشيئاً . أما علم الرسول الذى ينزل عليه الوحى فإنما هو علم من عند الله ، لا علم من عند الرسول البشر وعلم الله لا يتغير لأنه صحيح دائماً .

علم الله سبحانه وتعالى :

خلق الله سبحانه وتعالى كل ماهو موجود فى عالمنا هذا . كل ماتراه ونسمعه ونشاهده ونحس به ونتذوقه . كل ما ندركه وما لا ندركه .

وخلق الإنسان لايعلم شيئاً ، وكل واحد منا يولد طفلا ، ويبدأ يتعلم من أول لحظه يتعلم كيف يرضع وكيف يبكى ، ثم كيف يرى ، وكيف يميز مايراه ثم ، ثم كيف يضحك وهكذا حتى يكبر ، ويكبر معه عقله ، ويبدأ يدير حواسه فى أرجاء هذا الوجود ، يحاول أن يفهم شيئاً جديداً كل يوم ، ويستمر يدرس ويتعلم حتى تنتهى حياته ، وينتهى بذلك علمه . إلا ما يكون قد سجله ، فيصبح المسجل علما وخبرة يتلقاها عنه الأبناء والأحفاد ، ويضيفون إليها ، وهكذا تبنى الإنسانية ثروتها العلمية ، وتؤسس ثقافتها التى هى منبع حضارتها وتقدمها المستمر فى مختلف ميادين الصناعة والتجارة والفلاحة والهندسة والطب والآداب وغير ذلك .

وخالق هذا الوجود يعلم ما خلق بكل تفصيل ودقة . ٦٧ : ١٤ (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

وكل ما تراكم عند الإنسانية كلها من علم من يوم خلقها الله ، إن هو إلا قبس من علم الله ، وهو كثير لا يمكن أن يستوعبه أحد ، بل ولا يمكن أن يحصيه فرد مجموعة مهما أوتوا من آلات حديثة ، ومهما أوتوا من آلات تسجيل وحساب وتحليل الكترونية وما ستتعلمه الإنسانية مستقبلا أكثر وأكثر وأكثر ، ولا يمكن أن يعرف ولا أن يحصيه إنسان أو مجموعة من الناس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

هذا كله كان فى علم الله عندما خلق الله الوجود كله . وكل ما تبقى من علم يغيب عنا الآن — ولا حدود له — كله فى علم الله .

فعلم الله لا حدود له فى أى وقت من الأوقات . ولا يمكن أن يدركه أى إنسان .

لا كله ولا بعضه . بل ولا يمكن أن يدرك حدوده . بل ولا يمكن أن يتصور عن هذه الحدود إلا أنها لاحد لها .

والإنسان يسجد ذليلا صغيرا ضئيلا ضعيفا منكمشا لهذا التصور والتفكير . لأنه يشعر أنه يعجز حتى عن التفكير فيه (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) الكهف آية ١٠٩ : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء ٨٥ .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم :

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا . بكل معاني هذه « المثلية » من معان إجمالا وتفصيلا . ولكنه عنده علم نزل إليه من عند الله . وهذا كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى :

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى . .) . الكهف ١١٠ (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم . وكان فضل الله عليك عظيما) النساء ١١٣

(والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . .) النجم ١ : ٥ (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) . الإسراء ٣٩

فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أوسع من علمنا . فعنده علم امتاز به عنا جميعا ، لأنه موحى إليه ، إنه عنده علم من عند الله الذي يعلم الغيب كله . ويعلم السر في السموات والأرض ، ويعلم السر وأخفى .

ولذلك نحن نصدق حديثه كله . بل ونقتدي به أسوة حسنة لنا . وهذا مايفهمنا إياه عقلنا ، وهذا ما أمرنا الله به .

كيف نحكم عقلنا الإنسانى فى كل ذلك ؟

— إذا عرفنا حدودنا فى حواسنا وفى تفكيرنا وعلمنا . فأين السبيل إذا إلى التفكير فيما خلقه الله ، وفيما نزل من كتاب ، وفيما تحدث به رسوله من علم وحكمة بوحى من عند الله وبأمر وتكليف منه ؟

والأمر واضح كل الوضوح .

علم الله سبحانه وتعالى واسع كل الاتساع . ولا حدود له . ولا يمكن لعقلنا أن يتصور هذا الاتساع . لأن عقول البشر جميعا لا يمكن أن تتصور ما أطلق عليه هذا العقل الإنسانى التعبير المشهور « مالا نهاية » . وهو إشعار منه بأن تفكيره توقف عند حد له نهاية أما مالا نهاية له فهو خارج عن هذا الحد .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من عنده كبشر . بل هو نابع من علم الله . ونزل عليه من عند خالق السموات والأرض . والذى عنده علم كل شىء . والرسول نفسه لا يعلم كل شىء . لا يعلم إلا ما علمه الله . (٦/٥٠ : قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلى) . ٨/٧٧١ : (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

علمنا جزء لا يذكر بالنسبة لعلم الله . ويكفينا هذا التعبير . ولكننا نقول أيضا إن هذا الجزء اليسير يزداد يوما بعد يوم . ليس فقط بالنسبة لكل فرد على حدة . بل بالنسبة أيضا للبشرية كلها . وبالنسبة للرصيد المتزايد من معارفها عبر التاريخ . وعبر المستقبل .

فحكمنا على علم الله يكون باختصار :

١ — بالنسبة لعلم الفرد الواحد . وهو علم محدود جدا كما فهمنا مما تقدم .

٢ — بالنسبة لعلم الجماعة إذا تعاونت على التفكير والدراسة . وهو علم محدود أيضا . إلا أنه أوسع من علم الفرد الواحد .

٣ — بالنسبة للأجيال المتعاقبة . فعلم البشرية يزداد رويدا رويدا .

فكل فرد مثلا لا يمكنه — إذا آمن بالله وبرسوله — أن يقول بالنسبة لقول الله ورسوله « هذا غير معقول » . فمن ناحية الإيمان يكون هذا القول كفرا . ومن ناحية واقعه العملى يكون هذا القول كفرا . ومن ناحية واقعة العلمى يكون القول قولا جزافا . وكان الأوقع أن يقول « إنى أومن بأن هذا الكلام حق . ولكن علمى لا يساعدنى اليوم على فهمه . وقد يوجد لى إخوة يفهمونه فأبحث عنهم وأطلب منهم أن يشرحوا لى مالم أحط به علما . وسيبين الله الطريق فى المستقبل . أو سيعلم الله الأجيال القادمة مما يفهمون به هذا الذى خفى علينا اليوم . وكل هذا بإذن الله ومشيئته وتوفيقه » . ١٦/٤٣ والأنبياء ٢١/٧ (..... فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

أما أن يلغى فرد من الأفراد كلاما من عند الله ورسوله لأن عقله لا يستوعبه فهذا ليس من الإيمان ولا من العلم . بل هو فى آن واحد كفر وجهل .

ولا يقولن أحدكم « كيف يمكن أن نحمل من لا ينتمى إلى ديننا على فهم هذه الأشياء التى خفيت عنا . وهو لا يزال يتلمس لديننا الزلل . ويجتهد فى أن يجد فيه كل ما يمكن أن يصور لنفسه ولأمثاله على أنه عيوب ومآخذ يستعملها فى الهجوم على دين الله ونقضه وهدمه » .

مثل هذا الشخص لا يؤمن أصلا بأساسيات الدين ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يؤمن برسل الله ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم . فكيف نفزع لعدم إيمانه بالفروع والتفاصيل ولا نفزع لكفره بالأساسيات والجوهر ؟

وهل وجود من يكفر بديننا يؤخذ ذريعة لنفى بعض أجزاء هذا الدين إرضاء لشرذمة

مدخل لدراسة الفقه الاسلامى

للأستاذ

أحمد فهمى أحمد

مقدمة :

تعنى كلمة « فقه » فى اللغة « العلم والفهم » كما جاء فى قوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وكما جاء فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) .

أما فى اصطلاح الفقهاء والأصوليين فإن كلمة « فقه » يراد بها العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية . وتقييد الأحكام الشرعية بكونها « عملية » يحدد لنا موضوع علم الفقه ويبين أنه قاصر عليها فلا يشمل أحكام العقائد ولا الأخلاق وإنما يختص بالعبادات والمعاملات بجميع أقسامها وفروعها .

عصر النبوة :

لم يكن للأحكام أى مصدر سوى القرآن والسنة . وجاء القرآن الكريم على نحو كلى عام للتيسير على الناس بترك شىء من الحرية لهم فى كيفية تطبيق قواعده العامة حسبما تقتضيه مصلحتهم التى قد تتغير بتغير الزمان والمكان . مثال ذلك : نظام الحكم الإسلامى على أساس الشورى يقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) ولكنه يترك للناس الحرية الكاملة فى تنظيم هذه الشورى بالطريقة التى تناسب كل مجتمع بحسب ظروفه الخاصة .

ولم يتعرض القرآن للأحكام الجزئية إلا فى الأمور التى لاتتغير فيها المصلحة بتغير الزمان والمكان كأحكام المواريث وروابط الأسرة .

أما السنة فكانت تقوم بالشرح والتفسير وبيان الأحكام الجزئية . فإذا أمر الله عز وجل فى القرآن الكريم بإقامة الصلاة فإن السنة تبين عدد الصلوات فى اليوم والليلة وعدد الركعات فى كل صلاة وكيفية أداء هذه الصلوات وهكذا . .

ومع هذا كانت السنة تشتمل كذلك على بعض الأحكام العامة مثل قوله صلى الله عليه وسلم (لاضرر ولا ضرار) وقوله (المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالا) .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون القرآن . أما السنة فقد نهى الرسول الصحابة أن يكتبوها عنه مخافة أن تختلط بالقرآن . ولم ينقل أن أحداً من الصحابة كتب عنه شيئاً فى حياته إلا نفر قليل منهم .

وقد كانت هناك اجتهادات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور الحياة العادية والسياسية وأمور الحرب والقضاء وغيرها . ومن أمثلة ذلك استشارته أصحابه فى خطط الحرب عند قتال المشركين وتزوله على مايشيرون به كما حدث فى غزوة بدر وغزوة الأحزاب . ومثل نهيه صلى الله عليه وسلم ولا عن تأبير النخل — أى تلقيحه — لما أنه لا يصلح ثمره إلا بالتأبير فقال لهم (أنتم أعلم بشئون دنياكم) .

أما أمور الدين فإن الشأن فيها ألا يصدر النبي صلى الله عليه وسلم فيها حكماً إلا عن وحى لأنه فى أمور الدين رسول ومبلغ عن الله عز وجل . ومثال ذلك : عندما جاءت صلى الله عليه وسلم المرأة الأنصارية خولة بنت ثعلب المجادلة تستفتيه فى قول زوجها لها «أنت على كظهر أمى» امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفتيا إلى أن نزل قول الله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) وأوضحت الآيات بعدها الحكم التفصيلى فى يمين الظهار .

وعلى هذا فإن أي اجتهاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور الدين فإنما هو عن وحى الله تعالى كما قال سبحانه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) فإذا ماحرم الله عز وجل الجمع بين الأختين فى قوله تعالى فى آية المحرمات من النساء (وأن تجمعوا بين الأختين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تجمع المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا المرأة على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها . إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) فإن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعد اجتهاداً فى أمر من أمور الدنيا ولكنه يعد حكماً شرعياً أوصى به الله تعالى .

أما صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يلجأون إلى الاجتهاد فى عصر النبوة فى الأمور التى لم يحفظوا بشأنها قرآناً ولا سنة إذا بعدت المسافة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك يعرضون عليه نتيجة هذا الاجتهاد فيقرهم عليه إن كان صواباً أو يبين لهم الحكم إن كان خطأ . ومن أمثلة ذلك : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الأحزاب وأمره الله باللحاق ببنى قريظة قبل أن يضع لباس الحرب أمر الرسول صحابته وقال لهم (من كان منكم سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة) فأسرعوا السير . وصلى بعضهم العصر فى بنى قريظة عملا بأمر الرسول على ظاهره . أما البعض الاخر فصلى العصر فى الطريق بعد تأويل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قصد الحث على سرعة السير — وما أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على أحد منهم تصرفه .

ومن أمثلة هذا أيضاً أن عمار بن ياسر أصابته جنابة ولم يكن معه ماء فتمرغ فى التراب ثم صلى لأنه فهم التيمم بمسح الوجه واليدين إنما يحل محل الوضوء فقط دون الغسل ولما عرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار . كان يكفيك أن تفعل هكذا ومسح وجهه ويديه مبيناً له أن التيمم كما يقوم مقام الوضوء فإنه يقوم مقام الغسل .

يعتبر هذا العصر امتدادا لعصر الرسالة فقد كانت مصادر الفقه هي الكتاب والسنة. وبالنسبة للقرآن الكريم فقد كان الخلاف يثور أحيانا في بعض الأحكام عند وجود لفظ مشترك يدل على معنيين أو أكثر كلفظ « القروء » في قوله تعالى ﴿ والمطلقات يتربص بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ فهي جمع لكلمة « قرء » وهو يطلق على الحيض كما يطلق على الطهر. أو وجود لفظ يحتمل أنه أريد منه الحقيقة الشرعية أو المجاز اللغوي كتسمية الجد أبا في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾.

أما بالنسبة للسنة فقد كان الصحابة يتأكدون من صحة الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأخذ به. فقد روى أن جدة جاءت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأل عن نصيبها في تركة حفيدها فقال لا أعلم لك شيئا في كتاب الله ولا أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا. ولكن سأسأل الناس فلما سألهم قال المغيرة بن شعبة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس فطلب أبو بكر من يعلم ذلك غيره فصدقه محمد بن مسلمة فقضى بذلك أبو بكر. وكان عمر رضي الله عنه يطلب ممن يروي حديثا عن الرسول أن يأتي بشاهد. وروي عن علي بن أبي طالب أنه كان يستحلف الراوي.

إلا أن الاختلافات التي كانت تثور أحيانا بين الصحابة حول حكم من الأحكام كانت اختلافات قليلة لقلة المفتين ل التي يحتاجون فيها إلى القول بالرأي. ومن أمثلة هذه الاختلافات أن الله عز وجل حرم على المسلمين الزواج من المشركات بقول تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشر حتى يؤمن ﴾ ولكنه أباح الزواج من الكتابيات بقوله ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ ومع ذلك فلما تزوج حذيفة بن اليمان بكتابية أمره عمر أن يخلي سبيلها - فكتب إليه

حذيفة : « أحرام هى ؟ » فرد عليه عمر : « أعزم عليك ألا تضع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها فإنى أخاف أن يقتدى بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة لجمالهن وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » وهذا يعنى أن عمر كان يرى كراهة الزواج من الكتابيات خشية الوقوع فى الفتنة . وكذلك عبد الله بن عمر كان يشتبه فى أن يكون حكمهن حكم زواج المشركات . هذا بينما يرى غيرهما من الصحابة أنه لا مانع من هذا الزواج وقد كان عثمان بن عفان متزوجا من كتابية وكذلك عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله .

ولعصر الصحابة خصائص يتميز بها : أولى هذه الخصائص أنه تم جمع القرآن فى مصحف واحد وثانيها أن السنة وإن لم تكن قد دونت وتناقلها الناس بطريق الرواية إلا أنها ظلت نقية من كل تحريف أو كذب وثالثها ظهور الاجتهادات المبنية على أساس المصالح العامة .

عصر التابعين :

ويبدأ هذا العصر ببداية تولى الأمويين الخلافة سنة ٤٠ هجرية بعد مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه وينتهى قرب نهاية الدولة الأموية عام ١٣٢ هجرية .

وفى بداية هذا العصر ينقسم المسلمون إلى ثلاث فرق سياسية :

أولا — الشيعة : وهم المتعصبون لعلى بن أبى طالب ويرون انحصار الخلافة فيه وفى ذريته من بعده . ويعتبرون أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم مغتصبين للخلافة .

ثانيا — الخوارج : وهم الذين خرجوا على على بن أبى طالب وكفروه وكفروا معاوية وكانوا يرون أن الخليفة يجب أن يتصف بالتدين والعدالة المطلقة والحزم ولا يلزم أن يكون من العرب . وقد اشتهر الخوارج بالعنف الدموى والغلو فى العقيدة حتى كفروا مرتكب الكبيرة .

ثالثا — جمهور المسلمين : وهم الذين وقفوا موقفا معتدلا بين الشيعة والخوارج وكانوا

يرون أن الخليفة لابد أن يكون من قريش وأن يختار بطريق البيعة .

وكان من نتيجة هذا الانقسام السياسى ،أن تعددت الاتجاهات الفقهية فمثلا :

١ — الخوارج والشيعة أنكروا الإجماع والاحتجاج به، إذ التسليم بحجيته لا يتأتى إلا بالتسليم بقيمة رأى المجتهدين من مخالفيهم - ومن أجل ذلك نرى أن الخوارج لا يقولون برجم الزانى المحصن على الرغم من الإجماع عليه لعدم اعترافهم بالإجماع ، ولعدم ثبوت السنة التى تدل عليه عندهم .

٢ — كان كل من الخوارج والشيعة لا يقبلون من الأحاديث إلا ما يرويه رجالهم — أما أهل السنة والجماعة ، فإنهم كانوا يأخذون بالأحاديث التى يرويها الخوارج أو الشيعة إذا اطمأنوا لها ولمن يرويها .

٣ — الشيعة يقولون بعصمة أئمتهم من آل البيت ،باعتبار أن رأيهم إلهام من الله .

أما عن حكام هذه الدولة، فقد اتبعوا سياسة نفرت منهم العلماء ، كأن غيروا نظام الخلافة ليكون ملكاً يتوارثه الأبناء عن الآباء - كما كان الخليفة منهم يتمسك برأيه وإن تعارض مع بعض نصوص السنة - ثم بعد ذلك ارتكاب الأعمال التى لم يقرها الدين فى سبيل القضاء على الثورات التى تقوم ضدهم ،مثل مقتل الحسين بن على، وقتل عدد كبير من أهل المدينة وإباحتها للجنود ثلاثة أيام،وذلك فى أيام يزيد بن معاوية . وكذا الاعتداء على الكعبة حينما احتمى بها عبد الله بن الزبير من الحجاج،فى خلافة عبد الملك بن مروان .

وكان من أثر هذه السياسة التى نفر منها العلماء ، أن يعتزل هؤلاء العلماء الحياة السياسية ،ويتوجهون بعيداً عن مقر الخلافة ، للاشتغال بالعلوم الدينية من قرآن وسنة وفقه . . . وهنا يزداد النشاط الفقهى نظراً لتفرق علماء المسلمين فى الأمصار مع اختلاف درجاتهم العلمية وشيوع رواية الحديث بعد أن زادت الحاجة إلى روايته حتى يعرف الناس أحكام دينهم .

ومع شيوع رواية الحديث، تنشأ ظاهرة وضع الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لذلك أسباب عدة، منها أن غلاة الشيعة كانوا يريدون الترويج لمبادئهم، فيصطنعون أقوالاً تؤيدها على نسق الحديث وينسبونها زوراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تصدى علماء الحديث لهذه الظاهرة، فتعقبوا الوضاعين وكشفوا الأحاديث الموضوعة، وابتعدوا عن قبول الأحاديث التي يرويها المتعصبون لمذهب معين، ثم عنوا ببحث أحوال الرواة فنشأ بذلك (علم الجرح والتعديل) وكتبوا في تاريخ الرجال.

بقية المنشور ص ٣٩

من الملحدين والمنكرين ؟ وإذا أخذنا نلغي من الدين جزءا تلو جزء إرضاء لشراذم أخرى من الملحدين ماذا يبقى بعد ذلك من ديننا ؟

ألا إننا بعقلنا الإنساني المحدود نؤمن — بكل معاني الإيمان من معاني الارتياح والشهادة والإسلام — أن كل ماجاء من عند الله سبحانه وتعالى، وكل ماثبت أن قاله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. حق. كله حق. جملة وتفصيلا. وأن الله ولي التوفيق لمعرفة هذا الحق.

أمين رضا

قالت الصحف

الطريق إلى الله لايحتاج إلى طبول وبيارق :

قام الأخ رجب البنا باجراء حوار مع فضيلة الشيخ سيد سابق عن التصوف نشر جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم الجمعة ١٢ سبتمبر سنة ١٩٧٥ كما نشرته أيضاً مج التعاون الواسعة الانتشار فى أوساط الريف المصرى . وقد افتتح فضيلة الشيخ سيد سابق المناقشة بقوله إن الطريق إلى الله لايحتاج إلى حلقات يهتز فيها المؤمنون ويتمايلون ولا يحتاج إلى أشرطة حمراء وخضراء تلف حول صدورهم . وأضاف أن التصوف تجر شخصية ، تعتمد على الذوق والوجدان ، فمن كانت له مع الله أحوال ، أو كان له حديث مع من فى القبور ، فلماذا يحدثنا عنها ويطالبنا بأن نصدق رؤيته ، أليس الأفضل أن يحتفظ بأسرارها لنفسه لأنها شىء يخصه وحده ، فإن قال لها مارآى فإن من حقنا ان نقول رأينا ، ورأينا أن تجربة التصوف ليست شطحات بغير ضابط ، لابد أن تكون ضوابط والضوابط هى الكتاب والسنة ، فإن خالفت شيئاً منهما فهى من وسوسة الشيطان ، والقرآن يشير إلى ذلك صراحة فيقول « وإن الشياطين ليوحوا إلى أوليائهم ليجادلوكم » وقال تعالى : « ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » وقال الشيخ إن الإسلام دين العقل والقلب معاً ، والحياة الروحية بعيداً عن المجتمع غيبوبة أو هرب ، وكلاهما لايحتاج إليه المجتمع الإسلامى لاستكمال عناصر قوته .

ونستخرج من إجابات الشيخ على مختلف الأسئلة التى وجهت إليه النقاط التالية :

١ — أن التصوف قد دخل فيه رجال ليسوا من أهله كالدجالين والمحرفين والفارغين فوجدوا فيه مجالا فسيحا لدجلهم وخرافاتهم ، فاساءوا إليه ، وأصبح مظهراً من مظاهر الجهل والتخاذل والاستسلام والفراغ من العمل .

٢ — تفشى الأمية الدينية والاجتماعية بين بعض مشايخ الطرق والخلفاء مما ساعد على انتشار الخرافات والأباطيل التى تختلف عن المعقول والمنقول ومنها . تقديس المشايخ والاعتقاد فيهم بما يشبه العبادة ، ومنها انتشار الآراء الباطلة كاعتقاد أن الولى يملك الضر والنفع ، وأنه يملك شفاء المرضى وإطالة العمر وتوسيع الرزق وغفران الذنوب ، وأن له من الجاه عند الله مايستطيع به أن يفعل مايشاء ويقضى مايريد .

٣ — من أسباب انحراف التصوف شيوع فكرة أن الشيخ معصوم من الخطأ حتى شاع فيهم هذه الكلمة الغريبة « من اعترض إنطرد » ومثل « من قال لشيخه — لماذا — لم يفلح أبداً » وهكذا تعطلت ملكات التفكير والنقد . ومنها أيضاً أن هذه الخرافات والبدع لم تجد مقاومة من رجال الفكر الإسلامى الناضج الذى يحرص على إسقاط دولة المسيطرين على الأديان . ومنها أن هناك كثيراً من مرضى النفوس والعقول دخلوا التصوف من الباب الخلفى ويعيشون فى الأحلام والأوهام ويدعون أنهم رأوا واكتشفوا مالا علم للشرعيين به .

٤ — انتشرت الطرق الصوفية فى مراحل سابقة لأسباب سياسية ، وهذه حقيقة تاريخية فى مصر ، ففى ظل الحكم الاستبدادى ، وفى ظل حكم الاستعمار وجدت الطرق الصوفية دعماً غير عادى ، وقامت بدور المخدر الذى أبعد الناس عن مقاومة الاستبداد والظلم ، حتى أطلقوا عليهم « المغفلين النافعين » لأنهم دفعوا الناس إلى ترك مجتمعهم واتجهوا بنشاطهم إلى ماوراء العالم ، واستسلموا للواقع المرير وقالوا « أقام العباد كما أراد ، وله المراد فيما يريد » .

٥ — الغريب أن وزارة الأوقاف هى التى تصدر التراخيص باقامة الموالد ، وهى التى تساهم بأموالها فى نفقات إقامتها .

شيخ الأزهر يسأل ولا مجيب :

أين هو دولة الإيمان ؟ !

ظهر هذا السؤال منذ حوالى خمس شهور فى صفحة الفكر الدينى لأهرام الجمعة ٢٣ مايو ١٩٧٥ وظلت مجلة التوحيد ترصد ردود الفعل هذا فى السؤال .... وكان الحصاد ردود فعل إيجابية ولكن فى الاتجاه المعاكس .... أقصد الهجوم على الشيخ بدلا من الاستجابة لدعوته . ونظراً لخطورة السؤال فإننا نعيد نصه دون تعليق .

قال الشيخ :

— ألا يتعارض مع الإسلام تقديم الخمور ولعب الميسر فى الفنادق . وما يجرى فى شارع الهرم ؟

— ذلك كله غير الخلاعة الشائعة فى السينما والتليفزيون ؟

— هل يصح أن تدرس كليات الحقوق القانون الوضعى فى ٢٠ ساعة أسبوعيا ، وتعطى للشريعة الإسلامية ساعتين فقط ؟

— ألا يعنى ذلك أن هذه الكليات أثر من آثار الاستعمار الذى أراد أن يمسخ الشخصية الإسلامية لهذا البلد ، وبقيت كليات الحقوق تجسيداً لهذه الحقيقة ؟

وأضاف الشيخ قائلا نحن فى حاجة إلى إصلاح إسلامى شامل ، يتناول كل جوانب حياتنا فى التعليم والتشريع ومختلف السلوك .

بحثاً عن البركة مساء الخميس :

صورة أخرى من الوثنية الأولى :

تحت هذا العنوان تواصل صفحة الفكر الدينى حملتها على الوثنية البدعية المنتشرة فى

فى مختلف صورها ، فنشرت فى أهرام الجمعة ١٢ سبتمبر ١٩٧٥ مايلى :

فى قرية سيدى سالم بكفر الشيخ توجد ظاهرة عجيبة . . فى هذه القرية مكان اسمه (ووادى العين) أو (الواردة) وهو مكان فسيح يقع بين الأحراش وفى وسطه عينان للمياه العذبة يتكالب عليها طالبوا البركة وفى مساء كل يوم خميس تجد الطريق الموصل إلى هذه الواردة أشبه بأسطول متحرك . . عربات النقل محملة بأكثرها من طاقتها من البشر والقفف والأقفاص وسيارات الأجرة تحمل العشرات محشورين داخلها وخارجها والجرارات الزراعية التى تختفى تماما تحت حمولتها الكبيرة من البشر ثم اسراب من راكبى الدواب وعربات الكارو والسائرين على الأقدام . . ويستمر هذا الطوفان طوال الليل مع سماع همهمات بالدعاء سواء كان الدعاء يخرج من فم شيخ يطلب الصحة والشفاء أو من شاب يطلب النجاح أو من فتاة تطلب الزواج أو من امرأة تطلب أن ترزق بمولود ولد خوفا من الطلاق . . كل هذا الدعاء يصحبه دائما ذبح ماحملوه معهم من طيور كثيرة وأمام هذه الظاهرة العجيبة عن اعتقادهم فى فائدة المياه المتدفقة من العين كان سؤالنا وكانت الإجابة هى :

محمد سليمان أحمد ٥٠ عاما فلاح من نفس القرية من هذا المكان مر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتفتحت عيون المياه تحت قدميه وخرج منها الماء العذب .

● سيد أحمد عبد الجواد عامل نسيج ٤٥ سنة .

لا شك أن مجموعة من أولياء الله الصالحين أقاموا فى هذا المقام فترة طويلة . فكان من أجلهم أن تفتحت الأرض عن عينين من المياه العذبة ليشربوا منها ويصنعوا منه الطعام وخاصة الأرز .

● أحمد عبد الرحمن بيومى ٤٢ عاما موظف بوزارة الأوقاف .

هذا كله هراء فى قديم الزمان أقامت فى هذا المكان أحدى السيدات الصالحات

اسمها « ورادة » ثم ماتت ودفنت فى بطن الأرض فى هذا المكان ومن أجلها أضفت الطبيعة مجالا سامرا مظللا بالأحراش الخضراء التى تشتعل بمجرد قرب اللهب منها .

سعيد عبد الدايم مسعود ٥٠ عاما شرطى بالداخلية .

هكذا يقولون . . أما الحقيقة التى أعرفها أنا عن جد هى أن هذا المكان مبارك وتذبح فيه الذبائح يوم الجمعة للمسلمين ويوم الأحد للمسيحيين فتحل البركة فى عائلة صاحب الذبيحة ويرزق رزقا وفيرا .

مستشار بوزارة الخارجية

حسن الجنيدى

على رسلكم يا رفاق

خرجت علينا جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٥ ، تزف البشرى إلى الشعب المصرى ، بل والعربى وليس الإسلامى طبعاً لأن كلمة الإسلامى قد تعوق المسيرة الاشتراكية الديمقراطية — خرجت علينا لتعلن بياناً للأستاذ محمود أبو وافية أنه نيابة عن اللجنة التأسيسية قد أنشأ منبراً سماه المنبر الديمقراطى الاشتراكى — متمسكا بالديمقراطية كأسلوب للعمل وبالاشتراكية للمصرية كهدف ومبدأ عقائدى ، يرى فيه الحل الوحيد لمشاكلنا ويقول إن الاشتراكية فى مفهومه هو ورفاقه الذين تواروا بالحجاب هى العدالة الاجتماعية وهى الطريق الوحيد لتحقيق آمال أمتنا ـ اشتراكية تؤمن بالله ورسله .

وقد دارت فى خاطرى أمور ووقعت فى نفسى انفعالات حينما قرأت هذا البيان غير أن كلمة الأستاذ إبراهيم سعده التى تناول فيها بيان الأستاذ أبو وافيه بالنقد والتحليل هدأ من روعى وخفف البلاء فى نفسى وكفانى مؤونة الرد على البيان إلا من زاوية الإسلام ، فكيف يمكن أن نقول فى البيان أنى متمسك بالاشتراكية للمصرية كهدف

ومبدأ عقائدى نرى فيه الحل الوحيد لمشاكلنا كيف يتفق هذا الكلام مع الإيمان بالله ورسوله .

كيف تكون الاشتراكية مبدأ وعقيدة لله ولإخوانك الكرام وهى من صنع الإنسان وعقيدة الإسلام أن الحكم لله وأن الله يحكم ما يريد .

وكيف تكون اشتراكية تؤمن بالله ورسله فى حين أن الإيمان الذى يجب أن نتمسك به هو أن نكون على يقين أن الحل الوحيد لمشاكل مصر والعرب بل لمشاكل العالم كله رابض ومستقر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أفما سمعت قول الله الذى تؤمن به اشتراكيتك أنت والرفاق الكرام ، إن كنت لم تسمع فاعلم أن الله يقول (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) . .

وما هى الاشتراكية المصرية . . هل هى تلك التى صادرت الأموال ، وأممت الأملاك وكممت الإخوان وحطمت الأقلام زهاء عشرين عاماً وأنت تشترك فى كل هذه الأعمال وتؤيدها وتساندها ؟ .

حدثنى بربك وأنت رجل فيك بعض الخير ، إذ فزعت وانبريت يوماً تدافع عن فضيلة شيخ الأزهر ، حدثنى عن الاشتراكية لأنى لا أعلم عنها شيئاً فإن كانت تتفق مع الإسلام فلماذا تهرب من كلمة الإسلام إلى كلمة الاشتراكية المصرية ، أهو نفور من الإسم الكريم إن كان ذلك فالله يقول وهو أصدق القائلين (إن الدين عند الله الإسلام) وإن كانت الاشتراكية المصرية تخالف الإسلام فأين يكون الإيمان .

يا أبا وافية اتق الله ولو تغضب فقد قيلت من قبل لخاتم النبيين وسيد المرسلين إذ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً . واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا) .

وآخر من جنسه خرِ أمام الاشتراكية راكعاً وأناب ، ذلك هو الكاتب الهمام والضابط الجريء الأستاذ مصطفى كامل مراد - خرج علينا هو الآخر ببيان يعلن فيه أنه أنشأ منبراً سماه منبر الاشتراكية الأحرار والمتأمل فى هذا البيان يرى أن أوله يناقض آخره وأن آخره يكذب أوله - فتراه قد أخذ كلمة الإسلام ستراً يختفى وراءه عداءه للإسلام وتراه يعلن فى جرأة وكأنه يخاطب الأغنام أو يكلم الأنعام فيقول فى أحد مبادى منبره بالحرف الواحد - المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى كافة الحقوق .

فبين هذا المبدأ من الإسلام إن كنت تعنى الإسلام الذى جاء به القرآن وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أين هذا المبدأ من قول الله سبحانه (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) أين المساواة الكاملة من الرجل والمرأة فى كافة الحقوق من قول الله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) .

أين هذا من بيان القرآن الكريم أن المرأة فى الشهادة بنصف رجل - أيجب فى كتاب الله وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلك تجد ما يؤيد مبدأك ولن تجده أبداً إلا أن يكون فى الإسلام الاشتراكى الذى تعرفونه ولا نعرفه ولن نعرفه ، لأننا آمنا أن العدل كل العدل ليس فى الاشتراكية ولا فى شرق ولا غرب وإنما فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ألا فحاسبوا أنفسكم وزنوا الكلام الذى يخرج من أفواهكم قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة . . .) .

وثمة شىء آخر يؤرق المصلحين ويكدح ذهنهم ويشغل بالهم وهو تشكيل منظمة الطليعة من أولانا وفلذات أكبادنا فى سن السادسة فما معنى هذا ؟ ؟ ومن الذى سيتلقفهم ليطبعهم بطابع معين وما هو هذا الطابع ؟ ومن الذى سيتولى وضع البرامج الدراسية

وهل هى دراسات اشتراكية أم هى دراسات إسلامية أم ماذا يريدون ببلدنا . كل هذه أمور يجب إعلانها حتى نطمئن على مصير بلادنا وأولادنا وإلى عدد قادم إن شاء الله ولقاء مع الدكتور عبد الحميد حسن نائب وزير الشباب .

الرئيس العام

محمد عبد المجيد الشافعى

ظهر حديثاً

كتاب إرشاد الثقات

إلى اتفاق الشرائع

على التوحيد ، والمعاد والنبوات

للإمام محمد بن على الشوكانى

تقديم وتحقيق

الدكتور إبراهيم ابراهيم هلال

الناشر : دار النهضة العربية ٣٢ عبد الخالق ثروت القاهرة

الفتاوى

رسالة من السودان

للأستاذ

محمد جميل غازى

● عزيزى الأستاذ الأخ محمد جميل غازى .

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد :

أنا ماروى محمد أحمد الرجل الذى أجرى معك مناقشة فى شأن الطرق الصوفية بمنزل الأخ صديق محمد خير (بالأبيض — السودان) فى عصر آخر يوم من أيام زيارتك للأبيض ، وظللنا معك إلى أن وصلنا إلى المطار .

وإن من بواعث الأسف حقًا عدم وجود الوقت الكافى لمناقشة ما دار فى المحاضرات التى ألقيتها فى الأبيض ، والتى كان لها وقع عظيم فى نفوسنا) .

أنا رجل لى طريقة صوفية منذ حقبة من الزمن ، ولم أجد الفرصة الكافية لمعرفة حقيقتها . .

وقد رأيت أنه من الضرورى أن أبعث إليكم بهذه الأسئلة لعلى أجد فى ردكم ما يقطع شكى .

وخاصة أنه منذ سفركم — وحتى كتابة هذه السطور — لم تبارحنى هذه الشكوك . . . ولا لحظة ! !

● ١ — ذكرت لنا فى محاضرتك (بناى الإصلاح) تحت عنوان : ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ إنه ليس هناك أقطاب ولا أغواث ولا بدلاء ولا أنجاب ولا أوتاد .

وبعد البحث فى مسند الإمام أحمد ـ المجلد الأخير ـ وجدت حديثاً يثبت الأبدال ، وذكر الحافظ السيوطى أنه حديث متواتر ، نرجو الإفادة عن صحة هذا الحديث ؟

● ٢ — ما هن الوسيلة ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ .

● ٣ — ما هو الدليل على أن الصوفية بدعة ؟

● ٤ — إن الآيات التى كنت تستدل بها ؛ معظمها نزل فى المشركين فهل تجوز مخاطبة المسلمين بها ؟[1] .

* * *

ثم يقول الأخ ماروى :

إن الإجابة على هذه الأسئلة هام ؛ لأن من عاش على الشك مات هما .

ونحن نتقدم إليكم بالشكر لما قدمتم لنا من فوائد ، وأنا الآن أقرأ فى صحيح البخارى ، وقد انتهيت من مجلدين وأمامى الثالث .

وإن دل هذا فإنما يدل على أثر محاضراتكم التى بعثت فينا روح البحث والمعرفة ، جزاكم الله عنا خير الجزاء ، ووفقكم لما فيه إسعاد البشرية ، والسلام .

ماروى محمد أحمد

الأبيض — السودان هيئة توفير المياه

قسم حفر الآبار الجوفية

● عزيزى الأستاذ الأخ ماروى محمد احمد

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

---

(١) نكتفى بعرض هذا القدار من أسئلة الأخ الكريم ، لأنها — فى نظرنا — أهم من غيرها .

فلقد سررت لما قرأته فى رسالتكم من إقبالكم على قراءة صحيح البخارى ، وغيره من كتب السنة النافعة ، وهذا - ولله الحمد والمنة - بدء الطريق الصحيح للوصول إلى الله ، ومعرفة دينه الخالص ، البعيد عن البدع والخرافات ومحدثات الأمور .

وإنى أنتهز هذه المناسبة لأقول لك ، ولسائر إخوانك الذين وقعوا فى براثن الصوفية ؛ أن يتقوا الله فيما يقرأون من كتب ، فلا يقرأوا كتاباً إلا إذا ثبتت صحته .

ولا شك أن أهدى ما يقرأ هو : كتاب الله ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ! ! .

أما أوراد مشايخ الصوفية وأحزابهم وكتبهم ، فهى - ولا شك - صارفة عن الحق ، مفرقة للأمة ، باعثة على الشقاق والفوضى .

نعوذ بالله من علم لا ينفع . .

ومن كتب باطلة ، تصرفنا عن كتاب الحق .

❁ وإليك - يا أخى - ما طلبت من إجابة ، على ما أرسلت من أسئلة :

١ - الأبـــدال

فى المسند حديثان عن الأبدال :

أحدهما : ماجاء فى مسند على عن شريح بن عبيد ، قال : « ذكر أهل الشام عند على رضى الله عنه - وهو بالعراق - فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف ، عن أهل الشام بهم العذاب » .

وثانيهما : حديث عبادة بن الصامت - مرفوعاً - « الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون ؛ مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً » .

والحديث الأول : من طريق شريح بن عبيد الحضرمي الشامي ، قال ابن عساكر : هذا منقطع بين شريح وعلي فإنه لم يلقه ، قال أحمد شاكر : هذا هو الصواب ، ووهم الهيثمي اغتراراً بما ذكره المزي في ترجمة شريح ، وقد تعقبه ابن حجر .

والحديث الثاني : ذكر الإمام أحمد سنده ومتنه ثم قال : فيه كلام غير هذا ، وهو منكر ، وهو من طريق الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة وفيه أمور :

الأول : إن في الحسن وعبد الواحد كلاماً شديداً (راجع ترجمتهما في التهذيب) .

الثاني : أن الحسن يدلس تدليساً شديداً ؛ يسمع الخبر من كذاب عن ثقة فيذهب ويرويه عن ذلك الثقة ويسقط اسم الكذاب .

الثالث : أن عبد الواحد بن قيس لم يدرك عبادة ؛

* * *

٢ - الوسيلة

● ورد لفظ (الوسيلة) في القرآن الكريم مرتين : في سورتي :

المائدة — الآية ٣٥ — ، والإسراء — الآية ٥٧ —

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) .

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً .

● والوسيلة — في اللغة — : القربة .

يقول الراغب : والوسيلة : التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوصيلة ،

لتضمنها معنى « الرغبة » وحقيقة الوسيلة إلى الله : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحرى أحكام الشريعة ، وهى كالقربة .

ويقول صاحب لسان العرب : الوسيلة — فى الأصل — : مايتوصل به إلى الشىء ، ويتقرب به إليه ، وذلك بعد أن فسر الوسيلة بالمنزلة عند الملك وبالقربة ، وقال : ووسل فلان إلى الله وسيلة ؛ إذا عمل عملا تقرب به إليه .

وجاء فى القاموس : الوسيلة والواسلة : المنزلة عند الملك ، والدرجة ، والقربة ، والوصلة ، وقال الجوهرى : الوسيلة : مايتقرب به إلى الغير ، والتوسيل والتوسل واحد ، يقال : وسل إلى الله تعالى توسيلا ؛ عمل عملا تقرب به إليه .

● ولا يكاد يخرج تفسير أئمة السلف لها عن هذه المعانى .

فقد روى تفسير الوسيلة بالقربة عن حذيفة ، وصححه الحاكم .

وروى ابن جرير عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير وقتادة فى تفسير الآية ، أنه قال : تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه .

وروى عن ابن زيد تفسيرها بالمحبة ، قال : (وابتغوا إليه الوسيلة) أى : تحببوا إلى الله ، وعن السدى : أنها المسألة والقربة .

وروى ابن الأنبارى : أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الوسيلة ، فقال : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك ، تكحلى ، وتخضبى

ولم يرو ابن جرير هذا ، وإنما استدل بالبيت على تفسير الوسيله بالقربة ، وإرادة القربة من البيت أظهر من إرادة الحاجة على أنه لا ينافيه ، كما أنه لا ينافيه تفسيرها بالمحبة .

* * *

● ومن استعراض ما قاله أئمة اللغة ونقلتها ، وما رواه أئمة التفسير بالمأثور ، يستطيع أن يقرر : أن الوسيلة هى : ما يتقرب به إلى الله تعالى .

والذى يتقرب به إلى الله تعالى هو : الواجب والمستحب .

أما المباح ، والمكروه ، والحرام فلا يتقرب به إليه سبحانه .

ولا يمكن معرفة الواجب والمستحب إلا عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم .

- فالوسيلة التى أمر الله الخلق بابتغائها ؛ هى التوسل إليه باتباع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

- ولكنه على الرغم من وضوح دلالة لفظ (الوسيلة) على معناه ؛ فإن الناس قد اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ؛ وإنما نشأ هذا الاختلاف لأنهم انحرفوا باللفظ عن وضعه اللغوى ومدلوله الشرعى ، وحملوه مالا يطيق من معان ومفاهيم ، يقول الإمام بن تيمية : « إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ، ويعطى كل ذى حقه حقه ، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه ، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ، ومعنى ذلك ، ويعرف ما أحدثه المحدثون فى هذا اللفظ ومعناه ، فإن كثيراً من اضطراب الناس فى هذا الباب هو سبب ما وقع من الإجمال والاشتراك فى الألفاظ ومعانيها ، حتى تجد أكثرهم لايعرف فى هذا الباب فصل الخطاب .

* * *

٣ — الصوفية

الدليل على أن الصوفية بدعة هو اسمها نفسه . . فأنت لاتجد هذه الكلمة فى كتاب ولا سنة ، . . ولم ينطق بها واحد من الصحابة ! !

بل . . إن هذه اللفظة غريبة عن اللغة العربية ، ولا أدل على ذلك من اختلاف الصوفية ، حول تفسير لغوى لكلمة الصوفية . . . ! !

هذا من ناحية الشكل . . .

أما من ناحية المضمون ... فإنى أدعو السائل الكريم إلى مراجعة كتب الصوفية ليرى انحرافهم فى العقيدة ، والأخلاق ، والعبادة ... !

فهم فى العقيدة حلوليون ، يقولون بحلول الخالق فى المخلوق !

وهم فى الأخلاق انحلاليون ، يعتبرون الشذوذ الجنسى ، كرامة وقربى إلى الله !!

وهم فى العبادة مبتدعون !!

ولو رحت أعدد لك نماذج مما جاء فى هذه الكتب .. لضاق بى الوقت .. والصدر !

وسأقدم للطبعة قريباً كتاباً جديداً عنوانه : (الصوفية بدعة ضد الإسلام)[1] .

٤ ــ الشرك

● الشرك صفات من اتصف بها كان مشركاً ، وكذلك سائر الصفات المذمومة كالزنا ، والفسق ، والنفاق ، والظلم ، إذ العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب ، كما يقول الأصوليون .

ثم .. إذا صح ما تقول ، كان معناه : أن كل حكم نزل فى سبب مخصوص ، فى قضية مخصوصة ، لا يتعداها إلى غيرها ، وهذا باطل ، ظاهر البطلان ، وفيه ما فيه من تعطيل لكثير من آيات القرآن المبين ، وأحكام الدين ؛ فإن آيات الحدود ، والجنايات ، والمواريث والديات ، نزلت فى قضايا خاصة ، قد مضت ومضى أهلها الذين نزلت فيهم .

يقول ابن القيم فى تفسيره لقوله تعالى :

ــ (٣٤ : ٢٢ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك ، وماله منهم من ظهير) ؛ إن القرآن مملوء من

---

(١) هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من (التحقيقات الصحفية) التى أجريتها معى مجلة (التعاون) القاهرية .

أمثالها ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بدخول الواقع تحته ، ويجعلونه في قوم خلوا ، ولم يعقبوا إرثاً ، وهذا الذى يحول بين قلوب الناس وبين فهم القرآن .

* * *

وبعد :

فهذه يا أخى العزيز ، بعض الإجابة على بعض الأسئلة

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد جميل غازى

بشرى طيبة إلى جميع المسلمين فى بقاع الأرض

أبلغت الحكومة السعودية جميع سفاراتها بتيسير اجراءات الحج وطلبت من هذه السفارات عدم التقيد بأى شرط مما سبق إذاعته .

وأنصار السنة تبارك هذا العمل الجليل حيث أن الشروط السابق إذاعتها تعتبر صداً عن سبيل الله وجلالة الملك خالد حفظه الله لايرض بفرض أى قيد على الحج . وأنصار السنة المحمدية سبق لها أن أبلغت رأيها لفضيلة الشيخ عبد الله المبارك مفتش الحرس الوطنى وطلبت إبلاغه لجلالة الملك وذلك فى رمضان الماضى — ونحن نشكر لجلالة الملك بفضله بالغاء قيود الحج السابقة .